مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 33، أكتوبر 2023، ص - ص: 7 – 24
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

التناسب في سورة إبراهيم عليه السلام وارتباط قصته بسياق السورة الموضوعي والسور الأخرى حولها

The Correlation in Sura 14 and the Relation of Abraham's Story to the Sura's Thematic Context and Surrounding Suras

د/ ندين مصطفى السليمي
Nadeen Alsulaimi
جامعة الملك عبد العزيز- جدة – المملكة العربية السعودية
nalsulaimi@kau.edu.sa

تاريخ الإرسال: 2022/06/09 تاريخ القبول: 2023/05/14

الملخص:

اعتنى المفسرون ببيان موضوع سورة إبراهيم عليه السلام، وذكروا أنّ محورها الرئيس هو التوحيد ووحدة الرسالات، وتناولوا مناسبة مجيء ذكر إبراهيم ودعائه فيها، وربطوه بما جاء قبله من آيات ذُكر فيها الذين بدلوا نعمة الله كفرًا. وتعددت المناسبات المذكورة لمجيء قصة إبراهيم في السورة ما بين: بيان أدلة التوحيد، أو ذكر النعم الخاصة على قريش، أو تذكيرهم بملة إبراهيم وسؤاله ربه اجتناب الأصنام التي يعبدونها. وفي حين أن أغلب التفاسير والدراسات تتناول تناسب آيات وموضوعات السورة عبر ذكر تناسب كل آية مع ما قبلها، فإنها لا توضح العلاقة بين مقاطع السورة وترتيب موضوعاتها حيث يجيء ذكر إبراهيم عليه السلام في موضع قريب من خاتمة السورة وليس في بدايتها.

هذه الدراسة تعتمد على تحليل أجزاء السورة ونظمها الموضوعي لبيان تناسب آيات سورة إبراهيم وسبب مجيء دعاء إبراهيم فيها، وارتباطه بالسياق الذي يتكرر فيه موضوع النعمة وشكرها، وتبين الدراسة أن موضوع السورة متعلق بتوحيد إبراهيم والإنعام عليه، وتطبق الدراسة التقسيم التناظري لمقاطع السورة لبيان نظمها وتناسق موضوعاتها، ثم لإظهار العلاقة بين دعاء إبراهيم عليه السلام فيها وبين السور المحيطة التي تذكر إبراهيم كذلك وتشترك مع سورة إبراهيم في طرح موضوعي العذاب والنعم بشكل أساسي. وتَخْلُص المقالة إلى أن إبراهيم عليه السلام بحد ذاته كان نعمة على البلد حين أسكن ذريته فيها بأمر ربه، كما أن مجيء الرسول محمد عليه السلام ليخرجهم بإذن الله من الظلمات إلى النور كان نعمة من ربهم.

الكلمات المفتاحية: سورة إبراهيم؛ الوحدة الموضوعية؛ تناسب سورة إبراهيم، دعاء إبراهيم؛ علم المناسبات.

Abstract:

Exegetes have shown the main theme of Sura Ibrahim (Q 14) which is monotheism and the unity of God's message. They also have indicated the link between mentioning Abraham in the context with the previous verses such as stating the proofs of monotheism, graces casted upon Quraish specially, or a reminder of Abraham's religion. However, most studies focus on the correlations of the verses and themes verse-by-verse. However, they do not show the relation between the sura's parts and the order of its themes since the story of Abraham occurs near the end. This study analyzes the sura's parts and its thematic arrangement to show the coherence of the verses, the reason of mentioning Abraham's supplication and its relation to the theme of

grace. The study shows that the main theme relates to Abraham's monotheism and God's blessing upon him. Also, it applies the symmetrical division to the sura and demonstrates the relationship between mentioning Abraham in Q 14 and the surrounding suras in which the themes of punishment and blessing occur too. The article concludes that Abraham himself was a blessing for the people of Mecca when he had his offspring settled there by God's willing as Muhammad was sent to invite them to the light by God's willing. And that was a blessing from God upon the Meccans.

Key words: Sura Ibrahim; Thematic unity; Coherence of sura Ibrahim; Ibrahim duaa; Correlations science.

مقدّمة:

سورة إبراهيم عليه السلام لا تبدأ بذكر قصته أو صفاته، بل إنها لا تحكي تفاصيل دعوته لقومه أو كسره للأصنام أو غيرها من القصص التي ذكرها القرآن الكريم في سور مختلفة، ومجيء الحديث عنه فيها لا يتجاوز وصوله إلى مكة والدعوات التي ابتهل بها إلى ربه وشكره على نعمه. موضوع السورة كما يُشير عدد من المفسرين هو التوحيد الخالص كما يبينه القرآن الذي نزل على النبي محمد ﷺ، وهذا رابط واضح بإبراهيم عليه السلام فهو أبو التوحيد، وبدعوته دعت كل رسائل النبوة من بعده[1]، والإشارة فيها إلى ذريته ترتبط بوضوح تام بنبي الإسلام سليل هذه الذرية التي سكنت في البلد الحرام. وقد ربط المفسرون بين ذكر إبراهيم وبين الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وعبدوا الأصنام عند بيته المحرم[2]، وأن الله ذكرهم بأبيهم إبراهيم ودعائه للبلد وذريته باجتناب الأصنام بعد عرضه نعمه الأخرى عليهم[3]، وذكر فخر الدين الرازي أن دعاء إبراهيم مع توحيده أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فيه مبالغة متناسبة مع ما جاء في السورة من سرد أدلة وحدانية الله واستحقاقه العبادة[4]، وقال أبو السعود أن الله تعالى أولاً ذكّر أهل مكة بالنعم العامة، ثم ذكّرهم بالنعم الخاصة بهم عبر تذكيرهم بإبراهيم وعصيانهم لدينه[5]، هذه بعض الروابط التي ذكرها المفسرون لبيان ذكر دعاء إبراهيم للبلد في هذه السورة تحديدًا دون غيره من أحداث قصته في القرآن. المفسرون بيّنوا كذلك مناسبة تسمية السورة بإبراهيم وعلاقتها بالسور الأخرى المفتتحة بالحروف المقطعة نفسها[6]، وذكر بعضهم أن اسم السورة دليل على موضوعها،[7] وتناولوا علاقة فاتحة سورة إبراهيم بالسورة قبلها (الرعد) التي تذكر القرآن (الآية 31، الآية 37) وأن الهداية والضلال بيد الله (الآية 27)، لذا تجيء سورة إبراهيم بتقرير أن الكتاب نزل ليخرجهم من "الضلال" إلى "الهدى" بإذنه[8]. في حين أن سورة إبراهيم ترتبط كذلك بما بعدها (الحجر) عبر الكتاب الذي افتتحت به سورة إبراهيم وانتهت، فتجيء فاتحة الحجر تصف الكتاب وكماله وجمعه الخيرات سواء في الأحكام أو الوعود أو الإعجاز مبينًا طريق الوصول إلى الله[9]، وهذا الطريق هو صراط العزيز الحميد في أول إبراهيم.

السورة مكية عند جمهور العلماء، وقيل إن الآيات 28-30 مدنية[10]، لكن ابن عاشور يستبعد هذا الرأي، وذكر أنها السبعون نزولاً[11]. وفي الروايات التي نقلها جلال الدين السيوطي يكون ترتيب نزول السورة هو الواحد والسبعون[12]. زمن نزول السورة يظهر أنه في وسط العهد المكي[13]، وبعد إعلان الدعوة الجهرية، حيث تصبح العلاقة مع قريش متأزمة، وفيها الكثير من الجدال وطلب الآيات على صدق النبوة والوحي، وفي المقابل السور تطمئن النبي ﷺ وتسليه وتثبته، وتذكره بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام وما لاقوه من أقوامهم، وتبين سنة الله في الإنذار ونزول العذاب، كما هي سنته في نزول الوحي واصطفاء الأنبياء من البشر. الرسول محمد ﷺ لا يزال يدعو قريشًا وينذرهم، ويبين لهم نعم الله على الناس من نزول

الوحي لتجنب عذاب الآخرة إلى نزول المطر من السماء وخروج الثمرات وصلاح الأرض للعيش وتسخير البحار والأنهار. الله تعالى يستجيب لهم، ويعطيهم كل ما يسألون؛ ولكنهم جعلوا معه الأنداد وهذا هو الكفر والظلم الموجب لعذاب النار.

مشكلة البحث:

سورة إبراهيم تبدأ بذكر نزول القرآن العربي ومهمة الرسول ﷺ في الإخراج من الظلمات (الكفر) إلى النور (التوحيد)، والهداية إلى صراط العزيز الحميد، ثم حديث عن موسى عليه السلام وقومه وشكر النعم، مرورًا بالجدال وطلب الأقوام من رسلهم السلطان على النبوة، متبوعًا بضرب المثل على أعمال الكفار ومثل الكلمة الطيبة (التوحيد) والكلمة الخبيثة (الكفر)، ثم التذكير بنعمة الله على الناس والوعيد في النار للجاحدين، وبعدها يجيء مثال على التوحيد عبر ذكر إبراهيم عليه السلام وتركه ذريته عند البيت المحرم، وأخيرًا تأتي مشاهد من يوم القيامة وتحقق الوعد والوعيد وإعلان التوحيد عبر البلاغ الذي جاء للناس. هذا السرد السريع لموضوعات السورة يقود إلى ضرورة دراسة أجزائها ومقاطعها لتسليط الضوء على انسجامها وتناسقها نظمًا وموضوعًا، وفهم سبب مجيء ذكر إبراهيم عليه السلام عبر دعائه فقط في القسم الثاني من السورة وليس في أولها مثلاً، وعلاقة موضوعاتها بالسياق التاريخي والجدال العقدي مع المشركين والبناء الإيماني للمؤمنين، ومن أجل هذه الأغراض سيتم تقسيم السورة تناظريًا إلى قسمين بحيث يتم تتبع الموضوعات والألفاظ المتكررة المترادفة أو المتضادة والأساليب المتشابهة لتقسيم السورة إلى حلقات متناظرة نظمًا وموضوعًا، وتكون موضوعات القسم الأول معادة ومتناظرة في القسم الثاني[14]، ثم تربط الدراسة نتائج التقسيم بموضوع السورة الرئيس وبقية الموضوعات. الدراسات البلاغية والموضوعية السابقة للسورة تركز على أن موضوع السورة هو التوحيد بشكل عام ووحدة الرسالات؛ لذا هذا البحث يركز على بيان تناسب السورة وموضوعاتها، ودراسة العلاقة بين البُعد الإيماني والاجتماعي لذكر دعاء إبراهيم عليه السلام في السورة مع بقية أجزائها، وكيف يؤثر هذا البُعد على النبي ﷺ والمؤمنين في ذلك الزمان، وكيف يوظفه القرآن للرد على جدال المشركين واستمرارهم في الكفر، وارتباط ذلك كله بالسور حول سورة إبراهيم عليه السلام.

التقسيم التناظري لسورة إبراهيم:

تقسيم مقاطع السورة تناظريًا:

يمكن تقسيم سورة إبراهيم تناظريًا إلى قسمين كبيرين، في كل قسم ثلاث حلقات، ويتناظر القسمان الكبيران بشكل متوازٍ (أ ب ج / أ' ب' ج')، ويظهر أن موضوع السورة الرئيس هو التوحيد ووحدة رسالة الرسل عبر التذكير بإبراهيم عليه السلام وثباته وكونه شرفًا ونعمة على أهل هذا البلد، السورة تؤكد على شكر النعم (أهمها التوحيد) وكيفية الحفاظ عليها بالأعمال الصالحة: الصبر، الشكر، التوكل، الدعاء، الاستغفار، إقامة الصلاة والإنفاق. إنّ إبراهيم بنفسه كان نعمة على أهل مكة، واقترن توحيده بالتوكل والتسليم للحميد المحمود على كل النعم، هذا التوحيد يُثمر الشكر على النّعم سواء بالقول أو بالعمل الصالح، وهو بلاغ واضح لا شك فيه ولا شريك ولا ند ولا ولد؛ لذا يأتي تذكير بقصة إبراهيم عليه السلام حين ترك ذريته في الوادي غير ذي زرع، وقبل أن يصير البلد الذي تهوي إليه القلوب، وهي قصة مليئة بتنفيذ أمر الله والاعتماد عليه والدعاء والشكر على كل النعم رغم صعوبة الموقف بترك الذرية. هذه القصة لها علاقة بالنبي ﷺ لأنه من ذرية إسماعيل عليه السلام الذي سكن وأمه عند البيت الحرام، وترتبط بامتنان الله على أمة العرب بسَكَنهم في البلد الحرام[15]، وببعثة النبي ﷺ إليهم بالكتاب العربي الذي تفتتح به السورة ليخرجهم

من الشرك إلى التوحيد؛ لذا يأتي من القصة كلها دعاء إبراهيم الذي ابتهل به عندما عاد لبناء البيت، تفاصيل بناء/ وضع البيت لا تُذكر، وإنما التركيز كله على إيمان إبراهيم وخضوعه، ودعائه لله بإيمان ذريته وإقامتهم الصلاة، وقد تحققت إجابة الدعاء من خلال مجيء النبي محمد ﷺ الذي يدعو قومه للرجوع إلى دين إبراهيم عليه السلام ومجانبة الأصنام. ويمكن ملاحظة ما تناقشه السورة من معتقدات قريش وما تتمسك به ضد نعمة النبوة والوحي، السورة تصفهم بمحبتهم للدنيا وتفضيلها على الآخرة، وصدهم عن سبيل الله، واستجابتهم للشيطان، وتشابههم مع الأمم السابقة في الشك وتهديد الرسل وطلب آيات أخرى، لقد قابلوا نعم الله بالكفر، وجادلوا في البعث، لذا تقرر السورة البروز لله يوم القيامة وتحقق وعده لرسله وعدم غفلته عما يعمل الظالمون.

والشكل التالي يبين تقسيم السورة تناظريًا:

القسم الأول أ
أ (الآيات 1-8) صراط العزيز الحميد: إرسال الرسل للخروج من الظلمات إلى النور، شكر النعم
ب (الآيات 9-17) الله فاطر السموات والأرض: يمنّ على مَن يشاء من عباده بالرسالة وعليه يتوكل المتوكلون
ج (الآيات 18-27) البروز لله يوم القيامة: ضرب المثل بالكفر والإيمان، عذاب الظالمين، ودخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات

القسم الثاني ب
أ' (الآيات 28-34) نعمت الله في الدنيا: الأمر للعباد بإقامة الصلاة والإنفاق قبل يوم القيامة
ب' (الآيات 35-41) دعاء وشكر إبراهيم لربه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء
ج' (الآيات 42-52) البروز لله الواحد القهار يوم القيامة: ضربنا لكم الأمثال، لا يغفل عما يعمل الظالمون، لا يخلف رسله الوعد

الشكل 1: تقسيم سورة إبراهيم تناظريًا

القسم الأول أ يبدأ بالخروج من الظلمات إلى النور رابطًا بين النبي محمد والنبي موسى عليهم السلام، وبيان السبيل لزيادة النعم، وينتهي ببروز الناس جميعًا يوم القيامة ودخول الكفار النار ودخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات كما هو وعد الله في القرآن العربي الذي نزل للهداية إلى صراط العزيز الحميد، في حين أن منتصف القسم أ يُعلن التوحيد عبر تأكيد خلق الله للسموات والأرض، وامتنانه على الناس بإرسال الرسل بالبينات، وبيان إيمانهم وتوكلهم على الله في أداء التبليغ، هؤلاء الرسل يدعون الناس لرحمة الله وغفرانه قبل قدوم الآخرة. القسم الثاني ب يفتتح بذكر نعم الله في الدنيا على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، آمرًا العباد بإقامة الصلاة وبذل المال سرًا وعلانية الذي رزقهم الله إياه قبل مجيء يوم القيامة، ويختتم هذا القسم بالحديث عن يوم القيامة وأحداثه وعذاب الكافرين والبروز لله الواحد القهار.

السورة يتخللها خطاب متكرر للنبي ﷺ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾، ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾، ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾، ويتكرر فيها موضوع السكن في الأرض والمساكن: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾، ﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، وهذا يتناسب مع إسكان إبراهيم ذريته عند بيت الله: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾، لذا وسط القسم ب يذكر مناجاة إبراهيم عليه السلام لربه وحمده إياه على نعمه، مبينًا توحيده وتسليمه وتوكله على ربه ويقينه بقدوم يوم الحساب، إبراهيم يبتهل بأن يكون هو وذريته من مقيمي الصلاة

سائلاً ربه الغفران له ولوالديه والمؤمنين. والصفحات التالية تبين التقسيم التناظري لكل حلقات السورة مع بيان ترابطها وانسجامها وتأكيدها لموضوع السورة الرئيس.

تحليل حلقات السورة تناظريًا:

الحلقة الأولى أ في القسم الأول:

﴿الر ۚ **كِتَابٌ** أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ **لِتُخْرِجَ** النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ **الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** (1) **اللَّهِ** الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ **لِّلْكَافِرِينَ** مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ **اللَّهِ** وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3) وَمَا **أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ** إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ **الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (4)﴾

وَلَقَدْ **أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ** قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ **اللَّهِ** ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ **لَآيَاتٍ** لِّكُلِّ صَبَّارٍ **شَكُورٍ** (5) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ **ٱللَّهِ** عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن **شَكَرْتُمْ** لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن **كَفَرْتُمْ** إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) وَقَالَ مُوسَىٰٓ **إِن تَكْفُرُوٓاْ** أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ **لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** (8)﴾

الشكل 2: أ (الآيات 1-8) صراط العزيز الحميد: إرسال الرسل للخروج من الظلمات إلى النور، شكر النعم

هذه الحلقة تفتتح ببيان مهمة النبي ﷺ كما جاء الأمر لموسى عليه السلام بإخراج قومه من الظلمات إلى النور. وجُعل الإخراج منسوبًا إلى النبي ﷺ لشرفه وبيان مشاركته في هداية قومه مع أنهم يهتدون بإذن ربهم صاحب النعمة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب[16]، المفسرون ناقشوا معنى "بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ" وعلاقته بدعوة الرسول ﷺ وهل هي للناس كافة أم خاصة بقومه[17]؟ وعند التأمل نجد أن الحلقة تبين أن دعوته عليه السلام هي استمرار لدعوة من قبله[18]، وأن الرسل تأتي بلسان أقوامها ليفهموا الرسالة والمطلوب منهم، ولكن هذه المرة كان اللسان عربيًا ولم يكن قبله كتاب عربي أو إنذار للعرب؛ ومع هذا فالآية الأولى في الحلقة تستخدم لفظ "الناس": ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وليس لفظ "القوم" في حقه ﷺ؛ لتؤكد أنه وإن كان كتابًا عربيًا فهو خطاب للناس كلهم، أما في حق موسى عليه السلام فقد جاء الأمر بالمهمة نفسها ولكن مع ذكر لفظ القوم: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[19].

تشابه الأمر بالمهمة للأنبياء عليهم السلام بإخراج قومهم من الظلمات إلى النور يجيء في سياق يذكر إنزال الكتاب والهداية إلى الصراط مما يؤكد وحدة دعوة الرسل ووحدانية ربهم مالك السموات والأرض وما فيهما العزيز الحميد الحكيم صاحب المشيئة التامة في هذا الكون وأحداث الحياة وفي اصطفائه للرسل وهداية الناس[20]. وفي مناسبة ذكر اسمي "العزيز الحميد" يقول أبو حيان أن "العزيز" دليل على العزة والقدرة المتمثلة في نزول الكتاب، والعزة والملك في الكون، و"الحميد" لأنه يُحمد على الهداية للتوحيد التي هي النعمة العظمى[21]، ويُحمد على النعم ظاهرها وباطنها. موضوع الإنعام يظهر من أول آية في الحلقة عبر إرسال رسول جديد ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويذكر الرازي أن نعمة الله تمت على الناس وعلى هذا الرسول بأنه مرسل لكافة الناس في حين أن الرسل كانت تأتي إلى أقوامها خاصة بلسانهم[22].

موسى عليه السلام في الحلقة يذكّر قومه بأيام الله وتشرحها الآية التالية حين يذكرهم بنعمة الله عليهم ونجاتهم من فرعون. التذكير بأيام الله تذكير بالأيام المعلومة للناس والتي ظهرت فيها قدرة الله وقوته بهلاك السابقين كفرعون وغيره، ونجاة عباد الله المؤمنين، ويشمل تذكيرهم بالتقلب بين أيام فيها بلاء وصعوبات وأيام فيها النعمة والعطايا،[23] وكون المنتفع بهذا التذكير هو كل ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، فهذا التذكير يكون لهم آيات على حقيقة هذه الدنيا والسكن فيها إلى حين تقوم القيامة، وآيات على الإنعام من الله على الناس بالإيمان والرسل؛ لكي يُفهم الفرق بين الذين استحبوا الدنيا على الآخرة وبين المؤمن الصبار الشكور الذي يعرف أن الدنيا دار عبور وليس قرار،[24] الفريق الأول يصد عن سبيل الله ويبغي العوج، في حين أن الفريق الثاني يعرف معنى اختبار الإيمان والثبات على صراط العزيز الحميد حتى يلقاه، فهذه الأيام آياتٌ تذكّر بربهم الغني الحميد وقدرته وقوته، وكيف يتقلبون بين الأيام، فيكون سلوكهم الشكر حال النعمة والصبر حال البلاء.

الصبر والشكر سمات مَن تذكّر بالآيات والأيام، وقد وعد الله الشاكرين بالمزيد على لسان موسى عليه السلام، في حين أن الكافرين مُنذَرُون بالعذاب الشديد لكفرانهم النعمة[25]، ويمكن توسيع المعنى ليشمل الكفر بالله[26]، والتناظر يُظهر تناسق هذا المعنى مع بداية الحلقة التي تذكر الويل للكافرين من عذاب الله الشديد لأنهم كفروا بالرسول الجديد (الآية 2). ختام الحلقة يُعلن من خلال كلام موسى استغناء الله عن جميع مَن في الأرض وعن إيمانهم واستجابتهم، فهو الغني الحميد وإن كفروا[27]. هذه الخاتمة تتناسب مع فاتحة الحلقة وتربط موضوع الإنعام بالكتاب المنزل وتُعلن العزة والغنى للحميد في الفاتحة والخاتمة. الغنى متناسب مع ملكه السموات والأرض (الآية 2)، ومتناسب مع منحه الزيادة في النعمة لمَن شكر (الآية 7)، هذه الفاتحة مهمة لما سيأتي لاحقًا من تذكير قريش بإبراهيم عليه السلام وأمان البلد الذي يسكنونه.

الحلقة الثانية ب في القسم الأول:

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ **مِنۢ بَعۡدِهِمۡ** لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم **بِٱلۡبَيِّنَٰتِ** فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي **شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ** إِلَيۡهِ **مُرِيبٖ** (9)

۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ **شَكّٞ** فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ **يَدۡعُوكُمۡ** لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا **بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ** (10) قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ **ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ** عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم **بِسُلۡطَٰنٍ** إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (11) وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ (12)

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ **فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ** لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ (13) وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ **مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ** ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ (15) مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ (16) يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ (17)﴾

الشكل 3: ب (الآيات 9-17) الله فاطر السموات والأرض: يمنّ على من يشاء من عباده.

هذه الحلقة تذكر في وسطها (الآيات 10-12) أقوال الرسل لأقوامهم في سياق يخاطب أهل مكة ويبين تشابههم مع مَن قبلهم[28]، في الأطراف تأتي أقوال القوم الكافرين لرسلهم، ومع هذا فالطرف الأول (الآية 9) يبين عاقبة الأقوام التي شكّت في دعوة الرسل في الدنيا (وفيه إشارة إلى أيام الله)[29]، بينما الطرف الأخير

(الآيات 13-17) يوضح مصير الكافرين في اليوم الآخر وعقاب الجبارين المعاندين. في نهاية الحلقة الأقوام تهدد بإخراج الرسل من الأرض/البلد رغم أن الرسل في الحلقة الأولى (الآيات 1-8) جاءت لإخراج الأقوام من الظلمات إلى النور، الله يثبّت الرسل أمام قول الكافرين ويعدهم بأنهم سيسكنون الأرض؛ لذا يجعل ابن عاشور الكافرين في هذا الطرف الأخير هم أهل مكة، وأن الرسول ﷺ وُعد أرض مكة وقد دخلها فاتحًا[30]، وقد يكون المقصود هم الكافرون بالعموم الذين ذُكروا في الطرف الأول كما يظهر بالتناظر حيث أهلك الله قوم نوح وعاد وثمود لكفرهم وأنجى رسله.

الحديث عن رد الكافرين أيديهم في أفواههم في الطرف الأول يتناسب مع ذكر عذابهم يوم القيامة حيث يُسقون ماء صديدًا لا يستسيغونه لأنهم حين دعتهم الرسل استهزأوا مغطين أفواههم بأيديهم من شدة ضحكهم، ورد فعل كفار قريش لا يختلف عمن كان قبلهم[31]. ونقل أبو حيان أن المقصود باليد هنا هو النعمة، وأُستعمل كناية عن رد الكافرين لنعمة النبوة والوحي وعدم قبولهم لما يقوله الرسل بألسنتهم حيث ردوا النعمة بأفواههم بالتكذيب أو وضعهم أيدي الرسل أو أيديهم على أفواه الرسل لإسكاتهم[32]. وهذا القول الذي نقله أبو حيان حول معنى اليد متناسب مع الحلقة الأولى التي تذكر إنزال الكتاب وإرسال الرسل وذكر النعمة وشكرها، ومنسجم مع سياق السورة الذي يذكر الإنعام على الناس وحمد إبراهيم لربه على نعمه لأن موضوع الإنعام متكرر ويأتي كذلك بصيغة غير مباشرة عبر الإنعام على الرسل بالاصطفاء (الآية 11)، وبالهداية إلى السبيل (الآية 12)، وبالوحي حين كفر القوم والوعد بالأرض (الآيات 13-14).

الشك المريب الذي يأتي في الطرف الأول على لسان القوم (الآية 9) يُجاب عليه من الرسل إجابة موحدة تختصر كل قصص الأنبياء وحوارهم مع أقوامهم، هذه الإجابة تأتي في وسط الحلقة باستفهام إنكاري حول شكّهم في وجود الله فاطر السماوات والأرض والذي له ما في السماوات والأرض في الحلقة السابقة، الله الخالق يدعوهم في هذه الحلقة ليغفر لهم ذنوبهم ليتقوا عقابه[33]. الزمخشري يذكر بأن المقصود بالاستفهام الإنكاري هو أن الله لا شك في أدلة وجوده لوضوحها[34]، وهذا المعنى منسجم مع مجيء الرسل بالبينات. ويضيف الرازي أن الحديث عن خلق الله السماوات والأرض يدل على غناه عن الموجودات فهو فاطرها ومنشؤها وهم محتاجون إليه، وإتْباعه بالحديث عن الغفران كما يتابع الرازي هو دليل رحمته وإنعامه.[35] هذه المعاني تتماشى مع ذكر العزة والغنى والمحمود في الحلقة الأولى، وذكر المغفرة والرحمة في الحلقات التالية؛ لكن الكافرين يستمرون في المجادلة كما في وسط الحلقة: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، هذا الجدال مبنيٌ على عدم قبول رسلٌ من البشر يدعونهم ويبينون لهم الرسالة (الآية ٤)، ومبني على التمسك بما يعبد الآباء رغم وضوح التوحيد، ومبني على طلب براهين واضحة غير التي جاءتهم. هنا ترد الرسل عليهم بأن الآيات ليست من عندهم، ولا يمكنهم الإتيان بالبراهين بدون إذن الله، وهذا الرد ينسجم مع مشيئته تعالى في الهداية (الآيات 1-4).

صراط العزيز الحميد (الآية 1) وسبيل الله (الآية 3) الذين جاءا في الحلقة الأولى يأتيان هنا على لسان الرسل: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾، وهذا دليل آخر على وحدة رسالات الرسل مهما اختلفت ألسنتهم باختلاف ألسنة أقوامهم. السبيل ارتبط هنا بتوكل الرسل على الله وصبرهم على أذى أقوامهم كصفة جامعة للمجادلين في تعاملهم مع الرسل والبينات وردهم لها. موضوع الصبر في هذه الحلقة يرتبط بالإيمان والتوكل كما ارتبط في الحلقة السابقة بالشكر، هؤلاء الرسل الصابرون المتوكلون منصورون على أقوامهم، ومحفوظون بحفظه من التهديدات بإخراجهم من الأرض (الآيات 13-14)، الأرض التي هي ملك الله تعالى فاطرها، الحلقة تذكر كيف استفتح الظالمون على رسلهم، ولكنهم خابوا وهلكوا، ونالهم عذاب الدنيا والآخرة.

الحلقة الثالثة ج في القسم الأول:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ **عَاصِفٖۖ** لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ
ذَٰلِكَ هُوَ **ٱلضَّلَٰلُ** ٱلۡبَعِيدُ (18) أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ **بِٱلۡحَقِّۚ** إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ
جَدِيدٖ (19) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ (20) وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا
فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا
مِن مَّحِيصٖ (21) وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ **وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ** فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ
عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم
بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (22) وَأُدۡخِلَ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ (23)

أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا **ثَابِتٞ** وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ (24) تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا
كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ (26) **يُثَبِّتُ** ٱللَّهُ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** بِٱلۡقَوۡلِ **ٱلثَّابِتِ** فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي
ٱلۡأٓخِرَةِۖ **وَيُضِلُّ** ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (27)﴾

الشكل 4: ج (الآيات 18-27) البروز لله يوم القيامة: ضرب المثل بالكفر والإيمان، عذاب الظالمين، ودخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات.

هذه الحلقة رغم أنها تفتتح وتنتهي بضرب الأمثال حول الإيمان والكفر لبيان الفرق بين الظلمات والنور، إلا أنها تسوق طرفًا مما سيحدث يوم القيامة الذي ينكرونه، وتؤكد تحقق الوعد الإلهي للكافرين والمؤمنين فكلهم بارزون لله، ضرب الأمثال نعمة أخرى فيها مزيد من البينات لرسالة الكتاب، وتذكير الناس عبر استخدام فنون من البلاغة،[36] وفي الطرفين خطاب للنبي ﷺ بـ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾. الطرف الأول (الآيات 18-23) يبين مثل أعمال الكافرين وعدم قدرتهم على جمعها والانتفاع بها يوم القيامة، ويسوق الحوار اليائس بين أهل النار مع بعضهم، ثم مع الشيطان وبراءته منهم، وتأكيد عذاب الظالمين، لينتهي الطرف بدخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات. الطرف الثاني (الآيات 24-27) يضرب المثل بكلمة التوحيد وكلمة الشرك[37]، ويبين أصل كل عمل وأثره، ويختتم بتثبيت الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا والآخرة.

﴿ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ في الطرف الأول يقابلها الثبات "ثَابِتٞ"، "يُثَبِّتُ"، "ٱلثَّابِتِ" في الطرف الثاني الذي يكون نتيجة كلمة التوحيد، أعمال الكفار التي ستتطاير يوم القيامة بدون نفع لهم مثل كلمة الكفر ليس لها قرار ولا ثبوت ولا نفع في الدارين، أما كلمة التوحيد فهي ثابتة كثبات إبراهيم حين ترك إسماعيل وأمه عليهم السلام، هذه الكلمة ثابتة ومثبتة في كل الأيام[38]، ونافعة في تثبيت المؤمنين في الدنيا والآخرة، ويمتد نفعها إلى يوم القيامة بإدخال المؤمنين الجنات ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾. الثبات ودخول الجنة والهداية والضلال كلها بمشيئة الله كما كان الإخراج من الظلمات إلى النور بإذنه، المشيئة أيضًا ارتبطت بالقدرة عبر موضوع الخلق والبعث وتبديل الناس بآخرين، وهذا إنذار آخر كما أهلك الله الأمم السابقة.

﴿ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ هنا يُشير إلى الظلمات في أول السورة وامتدادها إلى الآخرة، وهذا أيضًا من أثر كلمة الشرك يوم القيامة، أعمال الكافرين التي ظنوا حُسنها وطيبها وعُرفوا بها في ثقافتهم ومجتمعهم ستتناثر إلى مسافات بعيدة وأقصى مدى بلا قرار بحيث يصعب عليهم جمعها كما لا يمكن جمع الرماد المتطاير،

يقول ابن عاشور: "ومِن لَطائِفِ هَذا التَّمْثِيلِ أنِ اخْتِيرَ لَهُ التَّشْبِيهُ بِهَيْئَةِ الرَّمادِ المُجْتَمِعِ؛ لِأنَّ الرَّمادَ أثَرٌ لِأفْضَلِ أعْمالِ الَّذِينَ كَفَرُوا وأشْيَعِها بَيْنَهم وهو قِرى الضَّيْفِ حَتّى صارَتْ كَثْرَةُ الرَّمادِ كِنايَةً في لِسانِهِمْ عَنِ الكَرَمِ"[39]. وهكذا يتناسب المثَلَان في الحلقة ويربطان بين الإيمان (الأصل) والعمل الصالح (الفرع)، وبين أثر الأعمال في الآخرة.

تحية المؤمنين كانت سلامًا حين دخلوا الجنة، أما الكافرون يتجادلون فيما بينهم بحثًا عن النجاة والخروج من النار، الأتباع يلقون اللوم على مَن اتبعوهم، والذين استكبروا يحتجون أن الله لم يهدهم، وهذا من شدة استكبارهم في الدنيا والآخرة، فالهداية جاءت على لسان الرسل فردّوها، لذلك هم يعلمون أنه لا مفر سواء صبروا أم جزعوا. الشيطان في كلامه معهم يبين تلك المعاني أيضًا، لا يمكنهم إلقاء اللوم عليه في استجابتهم له فقد استجابوا بإرادتهم، الشيطان أخلفهم الوعد، فلم ينفعهم اتباعهم للشيطان كما لم تنفعهم أعمالهم واغترارهم بها، أما وعد الله الحق فهو متحقق يوم الحساب بدخول الكافرين النار والمؤمنين الجنات، فالله لا يخلف وعده كما يجيء في آخر السورة.

الحلقة الأولى أ' في القسم الثاني:

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ (29) وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ (30)
قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ (31)
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ (33) وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ (34)

الشكل 5: أ' (الآيات 28-34) نعمت الله في الدنيا: الأمر للعباد بإقامة الصلاة والإنفاق قبل يوم القيامة.

هذه هي الحلقة الأولى في القسم الثاني ب وهي متناظرة مع الحلقة أ في القسم الأول أ، وفيها عودة لمخاطبة النبي ﷺ عبر ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ في سياق يعدد النعم على الناس في الدنيا ويبين في المنتصف سبيل شكرها والنجاة في الآخرة، في الوسط تظهر الشريعة الإبراهيمية (الصلاة والإنفاق) كسبيل لترجمة الإيمان فعلاً وشكر النعمة في العلن والخفاء، الحديث عن البيع (المعاوضة) والخلال (التبرع)[40] يشير إلى انتفاء انتفاع الإنسان يوم القيامة بهما، وأن مجال العمل الصالح وشكره النعمة كان في الدنيا. تبديل الكافرين للنعم كان بالكفر وعبادة الأنداد والاستجابة للشيطان وعدم شكر نعمة الأمن وسكنى البلد الحرام الذي تهوي إليه القلوب[41]، وتسببوا في هلاكهم وهلاك قومهم بصدهم عن السبيل، ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ تعبير يبين فداحة الخسارة في الآخرة حيث سكنوا دار الهلاك لأنهم بدلوا نعمة البلد الحرام الآمن بالكفر فكان الجزاء متناسبًا مع فعلهم. الإمهال في جملة ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يتناسب مع التأخير إلى يوم القيامة في جملة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (الآية 42). التمتع في الدنيا وصدهم عن السبيل ينسجم مع استحبابهم لها على الآخرة وصدهم عن السبيل في أول السورة (الآية 3)، هذا بالنسبة للطرف الأول الذي يبين رد فعل الكافرين تجاه نعمت الله ثم بيان مصيرهم في الآخرة.

الطرف الثاني يقرر وحدانية الله عبر سرد النعم على الناس من خلق السماوات والأرض ونزول المطر وإخراج الثمرات رزقًا لهم، وتسخير الفلك في البحر وتسخير الأنهار والشمس والقمر دائبين والليل والنهار (أيام الله)، الله أعطاهم من كل ما سألوه ونعمًا لا تُحصى، ولكن الإنسان ظلوم كفار، وهذان الوصفان هما عكس الصبار الشكور[42]. السماوات والأرض والأنداد والثمرات والرزق والسر والعلانية والصلاة ألفاظ ستكرر في الحلقة التالية مما يربط هذه الحلقة بما بعدها ليس فقط من الناحية الموضوعية بل الألفاظ كذلك أو مرادفاتها، الثمرات والرزق كانت ضمن دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته في البلد، الله هو الذي رزق إسماعيل وأمه في الوادي، وهو الذي جعل الماء في البلد ومال بقلوب الناس إليها لعلهم يشكرون، ولكن الذين كفروا قابلوا نعمة الله بالكفر.

الحلقة الثانية ب في القسم الثاني:

﴿وَإِذۡ قَالَ **إِبۡرَٰهِيمُ** رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا **مِّنَ ٱلنَّاسِۖ** فَمَن تَبِعَنِي **فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ** وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (36)

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن **ذُرِّيَّتِي** بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ **مِّنَ ٱلنَّاسِ** تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ (37) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ (38)

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ **إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ** إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (39) رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن **ذُرِّيَّتِيۚ** رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ (40) رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي **وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ** يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ (41)﴾

الشكل 6: ب، (الآيات 35-41) دعاء وشكر إبراهيم لربه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

تفتتح الحلقة بوصول إبراهيم عليه السلام إلى "البلد"، وبذكر آماله في البلد الآمن لذريته والناس الذين يسكنونه، في هذا الطرف الأول إبراهيم يدعو ربه لأمان البلد ومجانبة الشرك، براءة إبراهيم من الشرك تظهر في قوله: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، إبراهيم يعرف ضلال كثير من الناس بالأصنام (الأنداد) واغترارهم بها لأن الآباء من قبلهم عبدوها أو لأنها تمثل قيم مجتمعهم وثباته وأمانه في نظرهم هم وآباءهم، لكنه يعرف عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة؛ وعدم نفع الأصنام للأفراد والمجتمعات، لذلك يدعو باسمي الغفور الرحيم لأن التوحيد نجاة وأمان لمن تبعه واستجاب كما فعل ابنه محمد ﷺ وهو يدعو قومه لترك الشرك ونيل مغفرة الله ورحمته. في الطرف المقابل إبراهيم يشكر ربه الذي وهب له ذرية مؤمنة[43]، ويدعو ربه بالثبات على التوحيد هو وذريته عبر إقامة الصلاة -التي جاء الأمر بها في الآية 31 في الدنيا، يعود ويسأل ربه الغفران له ولوالديه ولمجتمع المؤمنين يوم الحساب[44]، الآخرة مذكورة في الطرف الأخير وهذا متناسب مع ذكرها في الحلقة التالية. اتِّباعُ إبراهيم باجتناب الأصنام لا يشبه اتباع الضعفاء للمستكبرين في الحلقة الأخيرة من القسم أ (الآية 21).

وسط الحلقة يتناول يقين إبراهيم في ربه حين أسكن هاجر وإسماعيل عليهم السلام في الوادي المقفر[45]، إبراهيم يلهج بالدعاء إلى عالم كل شيء في الأرض والسماء والعليم بالنفس وما أخفت وما أعلنت أن يجعل ذريته مقيمة للصلاة في مجتمع تهوي إليه قلوب الناس رغبة في السكن[46]، وتحنّ إلى زيارة البيت المحرم[47]، البيت الحرام كان سكنًا لقريش وكانت متنعمة فيه بدعوة الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ

ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، هذا الدعاء بالرزق يتناسب مع مفهوم الأمان في الدين والبلد في الطرف الأول، ومفهوم التوكل على الله الذي أمره بوضع ذريته في الوادي غير ذي زرع. هنا تذكير خاص لقريش بنعم الله عليها في بلده الحرام، وتذكير لها بتسليم آبائها إبراهيم وذريته عليهم السلام لله تعالى رب البيت، وتذكير بنعمة الرسول الذي جاءها ليخرجها من الظلمات إلى النور بإذن الله كما كان أبوه إبراهيم نعمة بتوحيده ودعائه للبلد الحرام، وأن دين التوحيد هو دين آبائه وآبائهم، وإنذار بعدم الجحود كما فعلت الأقوام السابقة.

قصة إبراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام تبين الفرق بين منظومتين مختلفتين في التفكير حول الخالق، إبراهيم استخدم ما منحه الله من العقل لبيان بطلان عبادة الأوثان، في حين أن قومه أصروا على اتباع طريقة الآباء والأجداد[48]. إبراهيم يترك أباه وقومه وما يعبدون ويذهب إلى ربه الذي عوض عليه بالذرية المؤمنة، القرآن يجعل إيمان إبراهيم عليه السلام هو المثال على أحسن الدين (النساء: 125)، ويجعل استجابة إبراهيم عندما قال له ربه أسلم ملةً لا يرغب عنها إلا سفيه (البقرة: 130-131)، في المقابل ذِكر إبراهيم في سورة إبراهيم يركز على تسليم القلب لله والخضوع له والتوكل عليه وشكره كما يظهر هنا، هذه المرة إيمانه متعلق برحلة العودة إلى مكة بعد ترك ذريته فيها، يجيء شاكرًا النعمة وداعيًا بالازدهار لذريته في البلد كمجتمع موحد يقيم الصلاة (منظومة التوحيد الإبراهيمية) [49]. سورة إبراهيم تُشير إلى العودة إلى المكان الذي دعا أن يكون بلدًا أولاً[50]، وقد تحققت دعوته وصار "البلد" وسكنه الناس،[51] فدعا مرة أخرى أن يستمر أمنه[52] وأمن ذريته من عبادة الأصنام، في هذه العودة بنى إبراهيم عليه السلام البيت رمز التوحيد وقبلة الناس في الحج، وعاش أهله هذا الأمان كما تشير سورة قريش إلى أن بُعِث النبي ﷺ داعيًا إياهم إلى التوحيد الخالص.

التوحيد بكل صوره القلبية والعملية يظهر في هذه الحلقة: العبودية لله وحده والإيمان بعلمه الشامل ورزقه وغفرانه، البيت الحرام ورمزه للتوحيد الخالص، الصلاة والدعاء والتوكل والحمد (أعمال صالحة)، وأخيرًا الإيمان بيوم الحساب (الآخرة). شخصية إبراهيم عليه السلام في القرآن تأتي لتُظهر أعلى مراتب التسليم لله والنجاح في اختبارات الإيمان التي مرّ بها، لا تأتي في السورة ولا في القرآن تفاصيل تركه إسماعيل وأمه في الوادي، ولكن تأتِ الاستجابة من إبراهيم وتسليمه للأمر وتوكله عليه، في آخر الحلقة إبراهيم يعدد بعض نعم الله عليه ويسأله القبول[53]: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، وقد استجاب الله دعاءه بذرية مباركة تقيم الصلاة في سور أخرى[54].

هذه القصة فيها خروج بالذرية من مكان لآخر آمن، كما أن إبراهيم وذريته عبر التاريخ جاءوا لإخراج الناس من الشرك إلى التوحيد، هذا الخروج ينسجم مع الإخراج إلى النور في أول السورة في حق ذرية إبراهيم (موسى ومحمد عليهم والسلام)، ويتناسب مع ذكر أيام الله التي هي آيات لكل صبار شكور، ويرتبط بنتيجة الخروج وهو دخول الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنات (الآية 23). الدعاء والصلاة تجيء كقوة للمؤمن في هذه الحلقة مع الصبر والشكر المذكورين سابقًا، الشكر على النعم والوعد بزيادتها يتناسب مع حمد إبراهيم، والصبار يتناسب مع تركه الذرية في الوادي والصبر على فراقهم، لذا يظهر في دعاء إبراهيم مَثَلُ الصبار الشكور[55]، ومَثَلُ الكلمة الطيبة. هذه الذرية الطيبة التي كانت في الوادي المقفر أصلها هو الشجرة الطيبة الثابتة إبراهيم الموحد، وقد نمت وازدهرت وكانت نعمة على العرب[56]. لذا هذه الحلقة تشير إلى ثبات إبراهيم في الدنيا، ودعائه لنفسه ولذريته بالثبات على التوحيد.

وأخيرًا الحديث عن إبراهيم في السورة متناسق مع ما جاء مِن ذكره في السور المحيطة في تسلسل المصحف على الترتيب التالي: هود ويوسف، ثم الحجر والنحل[57]، هذه السور لا تذكر قصة كسر الأصنام

ولا حوارات إبراهيم مع قومه، سورة هود تركز على مجيء الملائكة لإبراهيم بالبشرى بإسحاق ويعقوب وبركات الله على آل إبراهيم (الآيات 69-76) في سياق يذكر عذاب الله للأمم السابقة (المذكورين أيضًا في سورة إبراهيم) وبيان وحدة رسالات الرسل عبر قصة كل رسول، أما سورة يوسف فهي تذكر تمام النعمة على آل يعقوب كما أتمها الله على إبراهيم وإسحاق (الآية 6)، وتذكر على لسان يوسف اتباعه ملة إبراهيم (الآية 38)، في حين أن سورة الحجر تعود لذكر الملائكة والبشرى بغلام عليم (الآيات 51-60). السور الثلاث الأولى (هود، يوسف، الحجر) مُفتتحة بالحروف المقطعة والكتاب (القرآن وآيات الكتاب) وتختم به كما هو الحال في سورة إبراهيم[58]، سورة النحل لا تختلف عن هذه السور فهي تفتتح بالتوحيد، وتنتهي بذكر أبي التوحيد إبراهيم الذي كان أمةً قانتًا لله حنيفًا، وكان شاكرًا لأنعمه (الآيات 120-123) في سياق يذكر الوعيد ونزول الوحي والخلق وتسخير المخلوقات ونعم الله التي لا تحصى وأدلة وحدانيته. وبالتالي يمكن ملاحظة التشابه الموضوعي بين هذه السور وفواتحها، وأن ذكر إبراهيم فيها يدور حول قدوم البشرى والإنعام بالولد والنبوة، وبيان حاله في مقابل هذا الإنعام وهو التوحيد والشكر والإنابة. هذا الإنعام جاء كما تبين على لسان إبراهيم في سورة إبراهيم، وجاء معه حمده وشكره وابتهاله لربه بالثبات والمزيد من النعم عليه وعلى ذريته، وهو ما تقرره سورة النحل حين تذكر صفات إبراهيم الحنيف وقنوته وصلاحه[59]، وهدايته إلى صراط مستقيم (الآية 121)، وتأمر النبي ﷺ باتباع ملته (الآية 123)، وهذا كله متناسب مع فاتحة إبراهيم: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾، وخاتمتها: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، مفهوم وحدة الرسالات لا يظهر فقط في سورة إبراهيم، بل كذلك في السور من حولها[60]، الرسالة واحدة واضحة ﴿هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ (إبراهيم: 52).

نزول الكتاب هو أجلُّ نعمة منَّ الله بها على الناس، هناك مَن شكرها وأدى حقها كآل إبراهيم ومحمد عليهم السلام، وهناك مَن جحدها مثل الأمم السابقة وقوم قريش، اختتام هذه المجموعة من السور المتسلسلة بوصف إبراهيم بالأمة ("أي بمنزلة أمة كاملة") دليل على أصل وبداية النعمة على أهل مكة، فإبراهيم – كما يقول ابن عاشور- متصف بالفضل والفتوة والكمال، وكان أمةً وحده في التوحيد حتى بنى البيت ودعا الناس إليه، ولم يكن يومًا من المشركين كما تزعم قريش أنها تتبع دين الآباء[61]، المتأمل في السور التي تعدد النعم مثل سورة النحل التي هي قريبة في تسلسل المصحف من ترتيب سورة إبراهيم يجد أنها تتناول موضوع التوحيد بشكل أساسي، ولكن الذي يميز كل سورة عن أختها هو طرحها للموضوع نفسه بأساليب مختلفة، ابن الزبير الغرناطي يلفت النظر إلى ترابط كل سورة بما قبلها، ويشير إلى الالتحام ما بين إبراهيم والحجر ثم الحجر والنحل، ويبين أن سورة النحل لما امتدحت إبراهيم عليه السلام وأظهرت تفضيله على بقية الأنبياء، جاءت سورة الإسراء بعدها ببيان ما اختص به النبي ﷺ وتفضيله على سائر الخلق والمرسلين من الإسراء والشفاعة والمقام المحمود وغيرها، وحمده لربه على النعم كما جاء في أحاديث الإسراء[62]. هذه السور المتسلسلة تُبين النعمة على إبراهيم وآل إبراهيم وفضلهم على الناس بدعوتهم للتوحيد ملة الآباء الصحيحة، هذه السور كانت تسلية لنبي الله ﷺ وتثبيتًا له أمام ما يلاقيه من قومه وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود: 120)، هذا هو البلاغ للناس ﴿ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ (إبراهيم: 52)، رسالة الكتاب الجديد إلى صراط العزيز الحميد مجددًا، رسالة كانت نورًا وهداية إلى النور، كما كان آل إبراهيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (هود: 73)[63]. العبادة والتوكل أوامر واضحة للنبي ﷺ، والله ليس بغافل:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود: 123).

الحلقة الثالثة ج في القسم الثاني:

﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا** عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (43) وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ **وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ** وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ (46)

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ (48) وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (50) لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (51) هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (52)﴾

الشكل 7: ج (الآيات 42-52) البروز لله الواحد القهار يوم القيامة: ضربنا لكم الأمثال، لا يغفل عما يعمل الظالمون، لا يخلف رسله الوعد.

الحلقة الأخيرة موضوعها الأساسي هو الحساب والجزاء، تبدأ بتأكيد علم الله بما يعمل الظالمون كما لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الله لا يغفل عن أعمالهم وعنده مكرهم ويعلم استكبارهم وقسَمهم ببقائهم وبقاء قوتهم وأمنهم ومساكنهم، هؤلاء الظالمون سكنوا مساكن السابقين الظالمين لأنفسهم، وتبين لهم سنة الله "الأمثال" في الذين ظلموا، ولكنهم لم يعتبروا. الجزء المقابل يبدأ بتأكيد وعد الله للرسل وتذكير بالبلاغ والرسالة[64]. الحلقة في طرفيها مليئة بمشاهد من يوم القيامة وأحداثه من البعث والحساب والجزاء، الظالمون المذكورون في الحلقة ج الذين أضلهم الله ولهم عذاب أليم كانوا قد استجابوا لدعوة الشيطان في الدنيا ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ (الآية 22)، يعود هنا في الحلقة الأخيرة ويذكر إطلاع الله على أعمالهم وتأخير حسابهم إلى يوم القيامة، الحلقة تصوّرهم في موقف الذي يدعو ربه للعودة إلى الدنيا حين يرى العذاب، يريدون اتباع الرسل والاستجابة لدعوة الله، ولكن لا ينفع الدعاء عند حلول العذاب كما لم تنفع الكافرين أعمالهم يوم القيامة (الحلقة ج). الوعد بالعذاب الشديد في أول السورة (الآية 2)، جاء تفصيله في الختام لترتبط الفاتحة بالخاتمة[65].

موضوع التوحيد يأتي في الحلقة بتعابير مختلفة، تعبير ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ دليل على أن دعوة الرسل ورسالتهم واحدة، وفيه دحض لجدال الكافرين على لسانهم يوم القيامة، أيضًا التوحيد يأتي صراحة في جمل: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ﴿هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. موضوع خلق السموات والأرض في القسم الأول (الحلقة ب والحلقة ج) يأتي هنا لبيان انتهاء الدنيا وتحقق الوعد الحق، هنا تُبدل الأرض والسموات، فالله مالكهم من الأساس (الحلقة أ)، البروز لله يُعاد تأكيده لإثبات حقيقة البعث والردّ على قسمهم بعدم الزوال في الدنيا التي استحبوها على الآخرة، يعود اسم "العزيز"[66] ولفظ "عزيز" إلى الظهور في الحلقتين المتناظرتين ج و ج'[67]، ويأتي اسم الله "عزيز" في سياق بيان قدرته على حسابهم وتحقق الوعد: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ (الآية 47)، العزة كما في البداية دليل على القدرة والقوة، وهي متناسبة

هنا مع موضوع البعث وأهوال يوم القيامة. الأفئدة الهواء (الخاوية) لا تشبه الأفئدة التي هوت إلى البيت الحرام استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام[68]، هذه الأفئدة التي وصفها بالخلاء في الآخرة كانت مليئة بحب البقاء في الدنيا والفخر بما يملكون وبالمكر بالرسل.

وأخيرًا توحيد إبراهيم دعت إليه الرسل المتوكلون أقوامها رغم اختلاف ألسنتهم[69]، فكان عين النعمة أن يُرسل لهم رسلاً يبينون لهم بلغتهم حتى يفقهوا الرسالة[70] ،هذا الرسول العربي الخاتم لسانه عربي، والكتاب الذي نزل عليه في فاتحة السورة كان في أعلى درجات البلاغة لفظًا ومعنى وإعجازًا وأحسن تبليغ ونبأ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾، وذكر البقاعي في تفسيره لهذه الآية أنها رغم قصر طولها فإنّها قد جمعت علوم الشريعة وأصولها وفروعها، والحقائق ونهاياتها وبداياتها، وآلت الخاتمة إلى الفاتحة، وصار خروجًا إلى النور بهذا القرآن الحق[71]. التذييل بصفة التذكر في قوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ متناسب مع ما جاء في أول السورة من أمر موسى عليه السلام بتذكير قومه بأيام الله، التذكر والاتعاظ صفة أولي العقول في كل زمان، لقد تذكروا أيام الله وعقابه وبلائه ونعمه وإرساله الرسول إليهم ليخرجهم إلى النور بإذنه، وهكذا ارتبط آخر السورة بأولها[72]، واستنار العقل بنور السماء، واهتدى الفؤاد بإذن الله، وتمت النعمة بمجيء البلاغ الأخير وتفاصيله، والدعوة لعودة البيت الحرام رمزًا للتوحيد الخالص كما كان عندما بناه إبراهيم الخليل عليه السلام.

خاتمة:

قد يبدو موضوع التوحيد موضوعًا محوريًا تتشاركه معظم السور القرآنية، وسوق الأدلة عليه يتكرر بشكل كبير، ولكن سورة إبراهيم تقدمه في سياق يطرح موضوع النعم، ومع أنّ هذا الموضوع أيضًا مشترك وتتناوله سور عديدة، لكن النعم في سورة إبراهيم تتعلق بالسكن والأمن والاستقرار واستمرارهما، وقبلها نعمة السكن في الأرض أولاً، وتسخير ما في السموات والأرض للناس، لكن السورة تبدأ بالنعمة الأعظم وهي إنزال الكتاب وإرسال الرسول ليخرجهم من الظلمات إلى النور، في هذا السياق يأتي الحديث عن إبراهيم المُنعَم عليه واستقرار ذريته في البلد الحرام بأمر الله، فكان هو وذريته نعمة على هذا البلد من عدة نواحٍ، وكان اسم السورة التي تذكّرهم بهذه النعم هي "إبراهيم" الشجرة الثابتة الأصيلة في التوحيد والطاعة والشكر والتسليم.

اختيارات المفسرين لموضوع سورة إبراهيم الرئيس ركزت على التوحيد وربطته بتوحيد إبراهيم، وهذا أمر في غاية الوضوح، لكن تحليل أجزاء السورة يوسع الموضوع ليتعلق بالأمان الذي يجلبه التوحيد للإنسان في قلبه وبلده وأيام المحن والمنح، الصبار الشكور في السورة لم يكن هو فقط إبراهيم عليه السلام، بل أيضًا النبي ﷺ في صبره على أذى قومه واستمراره في دعوتهم، وفي شكره نعمة التوحيد عبر الصلاة والإنفاق والدعاء وكونها شرائع إبراهيمية تأكدت في دين الإسلام وأُمِر بها المؤمنون. أيام الله وقعت في الأقوام السابقين، وجاء الحديث عنها مختصرًا في هذه السورة لأنّ السياق يركز على موضوع الإنعام، أمّا قوم قريش فالله يؤخرهم وينذرهم لعلهم يشكرون نعمته بالعودة إلى دين إبراهيم الحنيف والاستجابة لرسوله العربي الأخير، هذه السورة التي جاء في فاتحتها التذكير بالأيام يجيء في خاتمتها الإمهال ليوم تشخص فيه الأبصار.

ترتيب سورة إبراهيم في المصحف يعكس الترابط الموضوعي بين السور قبلها وبعدها كمجموعة كبيرة متناسقة يتكرر فيها ذكر إبراهيم عليه السلام، وتتبين سنة القرآن في الانتقال ما بين موضوعات الوعيد والعذاب وبين الوعد والنعم والنجاة في السورة الواحدة والسور المتسلسلة؛ لذلك يمكن فهم عدم مجيء قصة

كسر إبراهيم للأصنام في هذا الترتيب، والتركيز على النعم وشكره عليها. هذه الدراسة وإن كانت تسلط الضوء على بعض الحكمة من هذا النظم القرآني للموضوعات والسور، فإنها دعوة لمزيد من الدراسة والربط بين السور المتسلسلة وموضوعاتها الرئيسة والمتكررة، خاصة وأنّ أول حكاية عن إبراهيم وذريته في المصحف كانت حول ابتلاء الله لإبراهيم وبنائه البيت، وهو حدثٌ متناسب مع العهد المدني والاختلاط بأهل الكتاب وتحويل القبلة، أما قصة كسر الأصنام فلا تبدأ في الظهور في المصحف إلا في سورة الأنبياء ثم تتكرر في الصافات. المتأمل في السور السابقة لسورة إبراهيم في ترتيب المصحف يجدها تشير إلى الفضل والاصطفاء لإبراهيم وآل إبراهيم بالكتاب والنبوة وبيان عقيدتهم الخالصة، وتُظهر جانبًا من حوار إبراهيم مع أبيه وقومه حول بطلان الأصنام وإثبات وحدانية الله وعظمته (الأنعام)، ويجيء كذلك حوارات النبي ﷺ مع أهل الكتاب حول عقيدة إبراهيم وتأكيده اتباعه ملة أبيه. هذه الجوانب وإن كان بعضها يعود للظهور في السور بعد سورة إبراهيم، إلا أنّ موضوع الإنعام على إبراهيم أو قريش هو ما يميز سياقات سورة إبراهيم والسور حولها كما بينت الدراسة، ويكون الاقتصار على حمده ودعائه في السورة أنسب مع تسميتها باسمه وكونه عليه السلام نعمة خاصة على قريش كما جاء ابن من ذريته يدعوهم إلى التوحيد واجتناب الأصنام.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر-القاهرة، 14 مجلد، د.ت.
- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745 هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية، 8 مجلدات، 2007.
- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 982 هـ)، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الرابعة، 9 أجزاء، 1414-1994.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، الكشاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تدقيق: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، مجلدين، 1424- 2003.
- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708 هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410-1990.
- إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تقديم وتحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، السعودية- الرياض، الطبعة الأولى، 3 مجلدات، 1408-1987.
- إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، 1427-2006 .
- بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت 733 هـ)، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الشريف، 1420-1999.
- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تحرير: فريدريش شفالي، ترجمة: د.جورج تامر وآخرون، هيلدسهايم، دار نشر جورج ألمز، زيورخ، نيويورك، 2000.
- جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب، لبنان- بيروت، الطبعة الثانية، 1408-1987.
- جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان- بيروت، 1424- 2003.
- عادل أحمد الرويني، تأملات في سورة إبراهيم: تفسير بلاغي تطبيقي، سلسلة الدراسات القرآنية، وحدة البحوث والدراسات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1434-2013.

• عبد الحميد محمود طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، دار القلم، سوريا - دمشق، الطبعة الثانية، 8 مجلدات، 1435-2014.
• فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606 هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، 32 جزء، 1425- 2004.
• محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 20 أجزاء، 1413-1993.
• محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393 هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 30 جزء، ت. د.
• محمد بن عمر بازمول، علم المناسبات في السور والآيات: ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع لجلال الدين السيوطي، المكتبة المكية، السعودية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1423-2002.
• Cuypers, Michel. The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an. Convivium, Miami, 2009.
• Cuypers, Michel. The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis. Translated by. Jerry Ryan. Bloomsbury Academic, New York, 2015.
• Elias, Amira. "The Comparative Textual Study of the Abraham's Story" in the Bible and the Quran," (Concordia University, Montreal, Quebec, Canada, MA. diss., March 2000.

الهوامش:

(1) إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تقديم وتحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، السعودية – الرياض، الطبعة الأولى، 1408-1987، 198/2.

(2) إبراهيم: 28.

(3) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745 هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بمشاركة: زكريا النوتي وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، 2007، 419/5؛ إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، الطبعة الثالثة، 1427-2006، 189/4-190؛ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ت. د)، 13/ 237-238.

(4) فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606 هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1425-2004، 103/19-104.

(5) أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 982 هـ)، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الرابعة، 1414-1994، 50/5.

(6) عادل أحمد الرويني، تأملات في سورة إبراهيم: تفسير بلاغي تطبيقي، سلسلة الدراسات القرآنية، وحدة البحوث والدراسات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 1434-2013، 20.

(7) المصدر السابق، 17-19.

(8) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 392/5.

(9) البقاعي، نظم الدرر، 199/4-200.

(10) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 392/5.

(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 177/13.

(12) جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان- بيروت، 1424- 2003، 25/1-27.

(13) السورة عند نولدكه تأتي في العهد المكي الأخير، ويرى أن أسلوب سور هذه الفترة مليء بالنثر والإطناب وتكرار الألفاظ، وخالٍ من البيان والإقناع في الرد على جدال الكفار، ويضيف بأن الحماسة التي كانت في سور العهد الأول تظهر أحيانًا في سور هذا العهد. انظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تحرير: فريدريش شفالي، ترجمة: د. جورج تامر وآخرون، هيلدسهايم، دار نشر جورج ألمز، زيورخ، نيويورك، 2000، 128، 136. وهذه الدراسة ستبين عكس هذ القول.

(14) للاطلاع على قواعد التقسيم التناظري يُنظر في المراجع التالية:

Michel Cuypers, The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an. Convivium, Miami, 2009; Michel Cuypers, The Composition of the Qur'an: Rhetorical Analysis. Translated by. Jerry Ryan. Bloomsbury Academic, New York, 2015.

(15) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 419/5.
(16) المصر السابق، 392/5.
(17) الرازي، التفسير الكبير، 63/19-64؛ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 394/5؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 185/13-187.
(18) وهذا سيظهر لاحقًا في السورة عند مجيء قصة إبراهيم عليه السلام. ونقل الرازي عن الأصفهاني أن مبعث الرسل مقصوده واحد وهو الدعوة للتوحيد وترك الكفر (انظر: الرازي، التفسير الكبير، 66/19).
(19) عادل الرويني، تأملات في سورة إبراهيم، 62.
(20) في الحلقة التالية تجيء مجادلة الكافرين لرسلهم وطلب السلطان على صحة النبوة.
(21) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 393/5.
(22) الرازي، التفسير الكبير، 63/19-64.
(23) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 395/5.
(24) القرار في النار والخلود في الجنة يأتي في السورة في الآيات 23، 29-30.
(25) موضوع النعمة سيأتي مرة أخرى في القسم الثاني من السورة في الحلقتين الأولى والثانية.
(26) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 194/13.
(27) المصدر السابق، 195/13.
(28) المصدر السابق، 195/13-196.
(29) التعبير بلفظ "نَبَؤُا" في هذا الطرف متناسب مع إنزال الكتاب (الحلقة السابقة) وما فيه من إنذار وبلاغ كما يجيء آخر السورة.
(30) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 205/13.
(31) يقول ابن عاشور: "وضَعُوا أَيْدِيَهم عَلى أفْواهِهِمْ إخْفاءً لِشِدَّةِ الضَّحِكِ مِن كَلامِ الرُّسُلِ كَراهِيَةَ أنْ تَظْهَرَ نَواجِذُ أفْواهِهِمْ" (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 196/13). الضحك والاستهزاء متناسب مع الشك وإيذاء الرسل والتجبر والعناد، استهزاء الكافرين له شواهد عديدة في القرآن وفي السورة التالية تحديدًا: الحجر: 6، 11، 95، وهذا يعضد القول بأن حركة الرد باليد كانت بغرض الاستهزاء، وليس الضجر والغيظ من قول الرسل كما يرجح الرويني (انظر: تأملات في سورة إبراهيم، 93).
(32) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 397/5-398.
(33) موضوع الغفران سيأتي في القسم الثاني في قصة إبراهيم عليه السلام.
(34) محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تدقيق: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان- بيروت، الطبعة الأولى، 1424- 2003، 576/1.
(35) الرازي، التفسير الكبير، 19/ 73-74. في الحلقة السابقة ذكرت الآيات على لسان موسى غنى الله عن إيمان من في الأرض وشكرهم (الآية: 8).
(36) يجيء في الحلقة النظيرة آخر السورة موضوع التذكر.
(37) هذا المثل لم يأتِ قبلاً في القرآن الذي نزل (انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 223/13).
(38) الثبات كذلك يعطي معاني الصبار الشكور الثابت في كل الأحوال.
(39) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 213/13.
(40) المصدر السابق، 233/13.
(41) المصدر السابق، 228/13.
(42) مما يؤيد هذا التناسب ما نقله أبو حيان في معنى الظلوم الكفار: "وقيلَ: ظَلُومٌ في الشِّدَّةِ فَيَشْكُو ويَجْزَعُ، كَفّارٌ في النِّعْمَةِ يَجْمَعُ ويَمْنَعُ" (انظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 417/5).
(43) يتكرر موضوع الشكر في السورة وفي وسط الحلقة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.
(44) الحديث عن يوم الحساب وأن الله سريع الحساب سيأتي في الحلقة الأخيرة.
(45) فكرة السكن تتكرر في السورة (الحلقة الثانية: الآيات 13-14، وفي الحلقة الأخيرة).
(46) شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، مصر-القاهرة، ت. د، 669/7.
(47) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1413-1993، 245/9.
(48) Amira Elias, "The Comparative Textual Study of the Abraham's Story" in the Bible and the Quran," (Concordia University, Montreal, Quebec, Canada, MA. diss., March 2000), p.23.

(49) الحديث عن هذه رحلة الخروج إلى مكة تتناوله سورة البقرة، ولكنها تركز على بناء البيت مع إسماعيل عليهما السلام ودعائهما معًا، والتركيز على بناء الكعبة متناسب مع ما جاء في السورة من تحويل القبلة.

(50) الألوسي، روح المعاني، 576/1.

(51) ذكر ابن جماعة مناسبة قوله "بلدًا آمنًا" في البقرة و "البلد" في إبراهيم، فيقول إن الأولى حين ذهب إبراهيم إلى مكة وترك فيها هاجر وإسماعيل، والثانية حين عاد لبناء البيت (انظر: بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت 733 هـ)، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: مرزوق على إبراهيم، دار الشريف، 1420-1999، 111).

(52) الألوسي، روح المعاني، 576/1.

(53) متناسب مع الآية 34 في السورة، وذكر بعض المفسرين أن مجيء ذكر إبراهيم هنا هو لتقديم مثال على الإنسان الشكور عكس الظلوم الكفار.

(54) مريم: 49-50، 54-55، الصافات: 112-113.

(55) عبد الحميد محمود طهماز، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، دار القلم، سوريا - دمشق، الطبعة الثانية، 1435-2014، 326/4.

(56) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708 هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن (تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410-1990، 236، هامش 245.

(57) تأتي سورة الرعد بعد يوسف وقبل إبراهيم في هذا الترتيب، ولكن لا يأتي ذكر إبراهيم فيها، ومع هذا فسورة الرعد ترتبط بإبراهيم، وتم ذكر أوجه من تناسبهما في مقدمة هذا البحث، ويُضاف على ذلك تكرار الموضوعات التالية في السورتين: ضرب المثل والبلاغ وأولى الألباب، والآباء والذرية وعدم إتيان الرسول/الرسل بآية بدون إذن الله، ومكر الكافرين وذكر نعم الله على الناس فيهما وغير ذلك (انظر: ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، 236-239). وبيّن الألوسي أن سورة الرعد امتدحت الكتاب ووضحت كفايته ووصفته بأنه حكم عربي، وجاء في إبراهيم بما يشابهه من وصف للكتاب وما فيه، مع تشابه الفاصلة فيهما أي حرف الباء (انظر: الألوسي، روح المعاني، 596/7-597).

(58) محمد بن عمر بازمول، علم المناسبات في السور والآيات: ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع لجلال الدين السيوطي، المكتبة المكية، السعودية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1423- 2002، 137.

(59) ذكر السيوطي شدة ارتباط سورتي إبراهيم والنحل رغم الفصل بينهما بسورة الحجر لأن الأخيرة بدأت بالحروف المقطعة مثل سورة إبراهيم، وبيّن أن ارتباط سورة النحل بإبراهيم بسبب الموضوعات التالية المتكررة في السورتين: فتنة الميت والثبات، المكر، وتعدد النعم (انظر: جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، عالم الكتب، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، 1408- 1987، 87-88). وتجدر الإشارة إلى أن السيوطي لم يذكر وجه الارتباط بين ذكر إبراهيم في السورتين، وما بينته هذ الدراسة من تناسب هو دليل على وحدة القرآن وانسجام نظمه وموضوعاته.

(60) هود: 26، 50، 61، 84، 123؛ يوسف: 38-40؛ الرعد: 16.

(61) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 315/14-316.

(62) ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، 243-247.

(63) اسم الله الحميد يتكرر في سورة هود وإبراهيم مما يزيد من ارتباط السورتين في المجموعة.

(64) الأمثال والوعد تأتي كذلك في الحلقة النظيرة (ج).

(65) محمد بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، 137-138، هامش 3.

(66) جاء في أول السورة الحلقة أ مرتين: الآيات 1، 4.

(67) جاء في الحلقة ج لفظ "عِزيز" بمعنى متعذر أو ممتنع في سياق بيان قدرة الله على خلقهم من جديد: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ - وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ (الآيات: 19-20).

(68) ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: 37].

(69) ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 4].

(70) جاء في سورة هود الآية 91 ادعاء قوم شعيب عليه السلام عدم فهمهم لما يقوله لهم، وهذا رابط آخر يربط سورة إبراهيم بما حولها من السور (انظر: ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، 238- 239).

(71) البقاعي، نظم الدرر، 198/4.

(72) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 429/5.